

موقف النبي ﷺ من العنف



الباحثة / رجمة أحمد عبده آل أحمد^(*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، امنن على عباده فأرسل إليهم رسولاً من أنفسهم حريصاً على ما ينفعهم، وهو بهم رءوف رحيم؛ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(١).

والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه، قد أرسله ربه رحمة للعالمين، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢)؛ وقد أظهر الله له الدين على كره من المشركين، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٣).

(*) المحاضرة بكلية العلوم والآداب بمحايل قسم الدراسات الإسلامية - جامعة الملك خالد.

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٣٣.

ورضي الله عن الصحابة الغر الميامين الذين حملوا شعلة هذا الدين؛ ليضيئوا بها حياة العالمين؛ عملاً بقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَّخِذُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(١).

وبعد:

فقد أكمل الله الدين، وأتم نعمته على عباده، ورضي لهم الإسلام ديناً، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢)، ولكن من عباد الله من يأبى النعمة، ويصد عن الحق، ويتشبث بالباطل الذي لن يقبل منه؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٣).

وهؤلاء المعاندون لدعوة الحق، الرافضون لنعمة الرب، وهدي خالق الخلق، لا ينفكون بين الفينة والفينة يهرطقون هرطقات مريضة، يؤججون سعارها بطبيعتهم الفاسدة، وفطرهم المرتكسة؛ فلا تلبث هذه الهرطقات أن تنتشر بين فئام من الناس؛ فينخدعون بها في ظل ما حل بدولة الإسلام الآن من الضعف في مقابل ما وصلت إليه دولة الكفر والإلحاد والضلال من القوة، التي جعلتهم يحسنون أن يلبسوا باطلهم ثوب الحق، ويصلون بترهاتهم وشبهاتهم إلى حيث ينبغي أن نصل نحن المسلمين بما في أيدينا من الهدى والخير للناس كافة.

ومن هذه الترهات والشبهات مزاعم باطلة تتهم رسول الإنسانية ورحمة الرب

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٨.

بالبشرية محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه بالعنف، وأنه أكره الناس على الدخول في الإسلام الذي ما انتشر إلا بحد السيف؛ ويشنون بذلك على الإسلام هجمة شرسة للنيل من رسول الله ﷺ، جاهلين - أو متناسين - أن ربه الذي أرسله رحمة للعالمين قد وعده أن يكفيه شر المستهزئين؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾^(١).

ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث عن موقف الرسول ﷺ من العنف، ويمكن بيان أهمية هذا البحث، وأهدافه، وخطته على النحو الآتي:

أهمية البحث:

يكتسب هذا البحث أهميته من أمور شتى، أهمها ما يلي:

أولاً: حاجة الأمة في العصر الحاضر - وفي كل عصر - إلى استلهاً القدوة من رسول الله ﷺ الذي جعله ربه أسوة حسنة لعباده، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٢)؛ وهذا من شأنه أن يكسب البحوث التي تتناول سيرة النبي ﷺ وشمائله وسائر ما يتعلق به - عليه السلام - أهمية كبرى؛ لأنها تساعد على استلهاً مبادئه القيمة، وشريعته العادلة، ومواقفه الشجاعة، وبطولاته الفائقة، وسجاياه الفاضلة، وشمائله السامية... إلخ.

ثانياً: حاجة الأمة في هذا العصر إلى وسائل وأساليب الإصلاح بعيداً عن العنف المنفر من الحق؛ لا سيما بعد أن سيطرت القيم المادية على عقول كثير من الناس، ممن أصبحت القيم الروحية كمها مهملاً في حياتهم التي انحرفت في التيار الجارف للمادة الطاغية.

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٥.

(٢) سورة الأحزاب آية: ٢١.

ثالثاً: أنه في الآونة الأخيرة ظهرت في المجتمعات الإسلامية جماعات وتيارات تميل إلى العنف والعدوان وانتهاك حقوق الإنسان، وفي مقابل ذلك ظهرت جماعات وتيارات تتسم باللامبالاة لانتهاك حرمانات الله، بحجة ترك العنف وبأنه لا يتفق مع سماحة الإسلام؛ وهو ما حداً بالباحث إلى ضرورة معالجة قضية العنف بطريقة موضوعية، بعيداً عن الإفراط أو التفريط؛ للوصول إلى نتائج موضوعية صحيحة، تحقق الأهداف التي يسعى إليها البحث، والتي تتمثل فيما يلي:

أهداف البحث:

- ١- بيان مفهوم العنف، وأنواعه، وموقف الرسول ﷺ منه:
- ٢- الذب عن رسول الله ﷺ بالرد على الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام عن موقفه ﷺ من العنف؛ من خلال ادعاء أن الإسلام يكره غير المسلمين على الدخول في الإسلام، وأنه قد انتشر بحد السيف إلى غير ذلك من الشبهات التي يسعى البحث إلى تفنيدها وهدمها دفاعاً عن رسول الله ﷺ ونصرة له؛ انطلاقاً من أن نصرته ﷺ علامة عظيمة من علامات الإيمان، والتهاون في هذه النصرة من الخذلان الذي يدل على ضعف الإيمان أو زواله بالكلية.
- ٣- الكشف عن الحجج والبراهين الدامغة التي تعلن سماحة الرسول ﷺ وحلمه ورفقه ولينه... إلى غير ذلك من الشكائل الدالة على أنه ﷺ أبعد ما يكون عن العنف المذموم، والتي تدحض كل الافتراءات التي يلفقها أعداء الإسلام، ويريدون إلصاقها بالإسلام ورسوله ﷺ.

خطة البحث:

جاء هذا البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

المقدمة: اشتملت على التعريف بموضوع البحث وبيان أهميته، وأهدافه، وخطته.

المبحث الأول: مفهوم العنف وأنواعه في ضوء الهدي النبوي.
وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف العنف لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: أنواع العنف في ضوء الهدي النبوي.

المبحث الثاني: حلم الرسول ﷺ ورفقه ولينه في مواجهة العنف.

المبحث الثالث: شبهات حول موقف الرسول ﷺ من العنف.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الجهاد والعنف.

المطلب الثاني: انتشار الإسلام بالسيف.

المطلب الثالث: إكراه غير المسلمين على الدخول في الإسلام.

الخاتمة: تشتمل على أهم نتائج البحث وتوصياته.

المبحث الأول

مفهوم العنف وأنواعه في ضوء الهدي النبوي

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف العنف لغة واصطلاحاً

أ- تعريف العنف لغة:

العنف في اللغة يعني: القسوة، والشدة، وترك الرفق واللين في التعامل مع الناس، ومعالجة الأمور، ونحو ذلك؛ فقد جاء في لسان العرب: أن «العُنْفُ: الخُرْقُ بالأمر، وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق، ومنه يقال: عَنَفَ به وعليه يَعْتَفُ عُنْفًا وَعَنَافَةً وَأَعْتَفَهُ وَعَتَفَهُ تَعْنِيفًا وهو عَنِيفٌ؛ إذا لم يكن رَفِيقًا في أمره، واعتَفَتِ الأمرُ أَخْذَهُ بعُنْفٍ وفي الحديث: «إن الله تعالى يُعْطِي على الرَّفْقِ ما لا يُعْطِي على العُنْفِ»^(١) هو - بالضم -: الشَّدَّةُ والمَشَقَّةُ، وكلُّ ما في الرفق من الخير، ففي العنف من الشرِّ مثله»^(٢).

وجاء في مختار الصحاح للرازي اللغوي أن «العنف بالضم ضد الرفق، يقال: عنف عليه - بالضم - عنفاً، وعَنَفَ به أيضاً، والتعنيف: اللوم»^(٣).

ب- العنف في الاصطلاح:

تعرف موسوعة علم النفس العنف بأنه: «السلوك المشوب بالقسوة والعدوان والقهر والإكراه، وهو عادة سلوك بعيد عن التحضر والتمدن، تستثمر فيه السدوافع والطاقات العدوانية استثماراً صريحاً بدائياً، كالضرب والتقتيل للأفراد، والتدمير

(١) أخرجه مسلم (٢٠٠٣/٤) كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في الرفق (٧٧-٢٥٩٣) من طريق عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة مرفوعاً: يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه.

(٢) ينظر: لسان العرب (٢٥٧/٩).

(٣) ينظر: مختار الصحاح (٤٦٧).

للممتلكات، واستخدام القوة لإكراه الخصم وقهره».

وتعرف باربارا ويتمر العنف بأنه: «خطاب أو فعل مؤذٍ أو مدمر يقوم به فسد أو جماعة ضد أخرى»^(١).

ويلاحظ على هذا التعريف أنه جعل العنف شاملاً لكل ما يصدر من الأقوال أو الأفعال المؤذية، أو المدمرة، من جماعة ضد أخرى، بصرف النظر عن كون إحدى الجماعتين معتدية، والأخرى معتدى عليها.

وأما التعريف الأول فقد صرح بأن العنف استثمار صريح للدوافع والطاقت العدوانية، ومعنى هذا أن العنف مقصور على ما يصدر من الأقوال والأفعال المؤذية، أو المدمرة من جانب المعتدي؛ لأنه الذي استثمار طاقاته العدوانية بأقواله أو أفعاله.

وهذا يتفق مع ما ذكره المناوي^(٢) من تعريف العنف انطلاقاً من دلالاته اللغوية؛ حيث قال «العنف: هو عدم الرفق»، وإذا كان المناوي قد عرّف الرفق بأنه حسن الانقياد لما يؤدي إلى الجميل، فإن العنف يمكن تعريفه بأنه سوء الانقياد الذي يؤدي إلى القبيح^(٣).

وفي ضوء ذلك يرى البحث أن مصطلح (العنف) ينبغي أن يكون مقصوراً على

(١) الأنماط الثقافية للعنف، باربارا ويتمر، ص (١١).

(٢) هو: محمد بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين، الحداي ثم المناوي القاهري، زين الدين، ولد سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة، من كبار العلماء بالدين والفنون. انزوى للبحث والتصنيف، وكان قليل الطعام كثير السهر؛ فمرض وضعفت أطرافه؛ فجعل ولده تاج الدين بن محمد يستملي منه تأليفه. له نحو ثمانين مصنفًا، منها الكبير والصغير، والثام والناقص. عاش في القاهرة، وتوفي بها سنة إحدى وثلاثين وألف، من تصانيفه: كنوز الحقائق في الحديث، والتيسير، وفيض القدير، وشرح الشمائل للترمذي.

ينظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحيي (٤١٢/٢، ٤١٦)، تاريخ آداب اللغة العربية، جرحي زيدان (٣٣٢/٣).

(٣) ينظر: الإرهاب والعنف والتطرف في الكتاب والسنة، د. رقية بنت محمد المحارب، ص (٧).

الشدة والقسوة المؤدية إلى القبح، سواء أكانت هذه الشدة، أو القسوة في الأقوال أو الأفعال.

وأما ما قد يكون من الشدة أو القسوة بهدف الإصلاح بعيداً عن العدوان والاعتداء فلا ينبغي أن يسمى: عتفاً، إلا من قبيل المشاكلة؛ على نحو ما سمي رب العزة جل وعلا جزاء السيئة: سيئة في قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾^(١). وكما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤٌ وَّمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيْنَ﴾^(٢)، ونحو ذلك مما سمي فيه الشيء باسم غيره على سبيل المشاكلة.

المطلب الثاني: أنواع العنف في ضوء الهدى النبوي

من خلال ما تقدم في بيان مفهوم العنف، يمكن القول بأن ما يطلق عليه اسم العنف في استعمال الناس اليوم، بعضه يندرج بالفعل في إطار العنف بحسب المفهوم الذي ارتضاه البحث وهو الشدة والقسوة في الأفعال والأقوال المؤدية على سبيل الاعتداء، وبعضه لا يندرج في هذا الإطار؛ وذلك حيث تكون الشدة والقسوة في الفعل أو القول لمنع العدوان والظلم، وحفظ الحقوق، ونحو ذلك؛ فهذا وإن جاز تسميته: عتفاً على سبيل المشاكلة - على ما سبق بيانه؛ فإنه لا يأخذ حكم العنف المراد به الاعتداء بالتأكيد:

وعلى هذا يمكن القول بأن العنف من حيث حكمه ينقسم قسمين:

١- عنف غير مشروع:

وهو الشدة والقسوة المؤدية إلى القبح، وهذا العنف قد يكون معنوياً كعنف الجدل والكلام، وقد يكون مادياً بالسلاح وغيره، كما أن منه الاجتماعي والسياسي؛ ويمكن بيان هذه الأنواع بإيجاز على النحو الآتي:

(١) سورة الشورى آية: ٤٠.

(٢) سورة آل عمران آية: ٥٤.

أ- عنف الكلام والجدل:

وهو الشدة والقسوة في الأقوال؛ بقصد الاعتداء، أو مع عدم وجود ما يدعو إلى هذه القسوة أو يبررها.

وهذا النوع من العنف مرفوض في الإسلام؛ ولهذا كان منهج الدعوة في الإسلام قائماً على الرفق لا على العنف، كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ بِلَاتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾^(٢).

فقد أمر الله تعالى في هذه الآية عباده المؤمنين أن يتحروا في خطابهم لغيرهم الكلمة التي هي أحسن، وليس مجرد الكلمة الحسنة، فإذا كانت هناك كلمتان: إحداها حسنة، والأخرى أحسن منها، فإنه ينبغي على المسلم عند مخاطبته لغيره أن يختار التي هي أحسن.

وكما دعا القرآن الكريم المسلم إلى أن يتحرى (الأحسن) في خطابه أو جداله دعاه - أيضاً - إلى أن يدفع السيئة بالحسنة، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٣).

وقد كان رسول الله ﷺ هو الأسوة الحسنة التي تتجسد فيها هذه المعاني والمثل العليا التي جاء بها القرآن، فقد كان خلقه القرآن، كما جاء في حديث عائشة رضي الله

(١) سورة النحل آية: ١٢٥.

(٢) سورة الإسراء آية: ٥٣.

(٣) سورة فصلت آية: ٣٤.

عنها^(١) ويدل لذلك - أيضاً - ما رواه البخاري في صحيحه عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: «استأذن رهط من اليهود على النبي ﷺ فقالوا - أي في تحتهم للنبي -: السام عليك - أي الموت والهلاك عليك - قلت - أي عائشة - رضي الله عنها -: بل عليكم السام واللعنة! فقال ﷺ: «يا عائشة؛ إن الله يحب الرفق في الأمر كله» قلت: أو لم تسمع ما قالوا؟! قال: «قلت: وعليكم»^(٢).

فهؤلاء اليهود الخبثاء لم يراعوا أدب الخطاب مع الرسول الكريم ﷺ، بل لسروا ألسنتهم، وحرفوا الكلم عن مواضعه، فبدل أن يقولوا: السلام عليكم يا محمد، قالوا: السام عليك! أي: الهلاك والموت.

ولكن الرسول الكريم لم يشأ أن يجعل من ذلك معركة، ورد عليهم قائلاً: وعليكم؛ أي: الموت يكون علينا وعليكم، وعلم زوجته عائشة الشابة المتحمسة الرفق في الأمر كله.

وإذا كان الرسول ﷺ يرفض العنف في القول، فأولى به أن يرفض العنف في الفعل، بمعنى: استخدام القوة المادية أو العسكرية في غير موضعها.

ولهذا كان النبي ﷺ يحترم معاهداته مع اليهود، وكان يتعامل معهم، وقد مات ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي، كما يدل لذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن النبي ﷺ التفت إلى أحد فقال: والذي نفس محمد بيده، ما يسرني أن أحدا يحول لآل محمد ذهباً أنفق في سبيل الله، أموت يوم أموت أدع منه دينارين، إلا دينارين أعدتهما لديني إن كان، فمات وما ترك ديناراً، ولا درهماً، ولا عبداً، ولا

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢/٦) كتاب المناقب، باب: صفة النبي ﷺ حديث (٣٥٤٩).
(٢) أخرجه البخاري (٤٤/١١) في كتاب الاستئذان، باب: كيف الرد على أهل الذمة بالسلام (٦٢٥٦)، ومسلم (١٧٠٦/٤)، في كتاب السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام (٢١٦٥/١٠) من طريق الزهري عن عروة عن عائشة به.

وَلَيْدَةً، وَتَرَكَ دِرْعَهُ مَرْهُونَةً عِنْدَ يَهُودِيٍّ، عَلَى ثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ»^(١). وهو مروي في الصحيح من حديث عائشة رضی الله عنها^(٢).

ب- العنف المادي:

إذا كان عنف الجدل والكلام قد نهى عنه الإسلام فمن باب أولى أن ينهى عن العنف المادي الذي يكون باستخدام السلاح، أو القتل أو ما شابه ذلك في الظلم والعداوة؛ ولهذا حذر النبي ﷺ من تقابل المسلمين بسيفيهما، حرصاً على سلامة المجتمع المسلم من الفرقة والتنازع والصراع، فقد روى البخاري بسنده عن الأحنف بن قيس قال: «ذَهَبْتُ لَأَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ فَلَقِينِي أَبُو بَكْرَةَ فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قُلْتُ: أَنْصُرُ هَذَا الرَّجُلَ، قَالَ: ارْجِعْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِذَا تَقَايَا الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٠٠/١)، وفي الزهد، ص (٤٦)، وابن ماجه (٨١٥/٢) كتاب الزهون رقم (٢٤٣٩) مختصراً وعبد بن حميد في المسند (٥٩٨-المنتخب)، وحماد بن إسحاق في تركة النبي ﷺ (٢٩)، والطبراني في الكبير (٣٢٧/١١) رقم (١١٨٩٩) من طريق هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس به.

وقال صاحب الاقتراح هو على شرط البخاري كما في التلخيص (٩٣/٣).

وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٧٤/٣): إسناده صحيح ورجاله ثقات اهـ.

وأخرجه الترمذي (٣١٩/٥) كتاب البيوع، باب: ما جاء في الرخصة في الشراء إلى أجل حديث (١٢١٤)، والنسائي (٣٠٣/٧) كتاب البيوع، باب: مبيعة أهل الكتاب حديث (٤٦٥١) من طريق هشام بن حسان عن عكرمة عن ابن عباس بلفظ: توفي النبي ﷺ ودرعه مرهونة بعشرين صاعاً من طعام أخذه لأهله.

وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٩٩/٦) في الجهاد، باب: ما قيل في درع النبي ﷺ (٢٩١٦)، ومسلم (١٢٢٦/٣)، في المساقاة، باب: الرهن وجوازه في الحضر والسفر (١٦٠٣/١٢٤) من طريق الأسود، عن عائشة، قالت: توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير.

وفي لفظ: اشترى رسول الله ﷺ من يهودي طعاماً ورهنه درعاً من حديد.

الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ»^(١).

ج- العنف الاجتماعي: وهو «الهجوم على فرد أو على ملكيته؛ لمجرد انتساب هذا الفرد إلى فئة اجتماعية»^(٢).

د - العنف السياسي:

يعرف تيدهندريش العنف السياسي بأنه: «اللجوء إلى القوة لجوءاً كبيراً مدمراً ضد الأفراد أو الأشياء بطريقة يحظرها القانون، بقصد إحداث تغيير في السياسة أو في نظام الحكم أو في أشخاصه، أو لإحداث تغييرات في وجود الأفراد في المجتمع وربما في مجتمعات أخرى»^(٣).

٢- العنف المشروع:

يراد بالعنف المشروع: الشدة المراد بها ردع المعتدين، وحفظ الأمن والأمان بين أفراد المجتمع.

أو هو بعبارة أخرى العنف المؤدي إلى إصلاح، أو كان طريقاً للإصلاح، كأخذ الحاكم رعيته بالشدة؛ ليستقيم أمرها على الجادة، مثلما أثر عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الذي كان يشتد على الرعية، كما كان يأخذ نفسه بسشيء من العنف، ويقسو عليها في محاسبتها على النقيير والقطمير.

وهذا يعد من الشدة الضرورية في قيادة الأمة، إذ يجب الحزم لحمل الناس على الاستقامة، وهذا من قبيل السياسة التي تعني: حسن التصرف؛ إذ إن أمر الأمة لا يصلح

(١) أخرجه البخاري (١٩٩/١٢)، كتاب الديات، باب: قول الله ﴿وَمَنْ أَخْيَاها﴾ (٦٨٧٥)، ومسلم (٢٢١٣/٤)، كتاب الفتن، باب: إذا تواجه المسلمان (١٤ - ٢٨٨٨). من طريق حماد بن زيد، حدثنا أيوب، ويونس، عن الحسن، عن الأحنف بن قيس، قال: ذهبت لأنصر هذا الرجل، فلقيني أبو بكر... فذكر الحديث.

(٢) ينظر: الأنماط الثقافية للعنف، باربارا ويتمر، ص (٤١).

(٣) ينظر: العنف السياسي، تيدهندريش، ص (٢٣ - ١٤٢).

إِلَّا بِجِدَّةٍ وَشِدَّةٍ وَعِزْمٍ وَهُوَ مَا عَرِ عَنْهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، حَيْثُ قَالَ: «لَا يَصْلَحُ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا شِدَّةً فِي غَيْرِ عُنْفٍ وَلِينٌ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ»^(١).

لِذَا امْتَدَحْتَ الْجَدِيَّةَ وَالشَّدَّةَ فِي أُمُورِ الرِّعْيَةِ؛ لِيَسْتَقِيمَ الْجَمْعُ، وَفِي تَرْبِيَةِ الْأَبْنَاءِ؛ لِيَشْبُوا عَلَى عِزْمٍ، حَتَّى قِيلَ «إِنَّ الْجَدَّ وَالْخَشُونَةَ مِنْهُجٌ شَرْعِيٌّ وَكُونِيٌّ وَفِطْرِيٌّ وَطَبِيعِيٌّ لَا بَدَّ مِنْهُ حَتَّى تَسْتَمِرَّ الْحَيَاةُ السَّلِيمَةُ وَحَتَّى تَتَحَقَّقَ الصَّحَّةُ وَالْعَافِيَةُ فِي كُلِّ مَجَالَاتِ الْحَيَاةِ، فَهِيَ الْغَرَسُ الطَّيِّبُ لِلإِبْقَاءِ عَلَى حَيَاةٍ طَيِّبَةٍ، وَانْظُرْ إِلَى شِدَّةِ الْوَالِدِ مَعَ وَلَدِهِ أَيْحَانًا، وَشِدَّةِ الطَّبِيبِ مَعَ مَرِيضِهِ، وَشِدَّةِ الْمُعَلِّمِ مَعَ تَالِبِهِ، بَلْ حَتَّى شِدَّةِ النَّبِيِّ مَعَ أَصْحَابِهِ وَشِدَّةِ الرَّسُولِ مَعَ النَّبِيِّ وَكَفَّاكَ شِدَّةَ مُوسَى مَعَ هَارُونَ»^(٢).

وَقَدْ جَاءَ فِي خُطْبَةِ لَزِيَادٍ وَالْيَ الْبَصْرَةِ مَا يَكْشِفُ عَنْ شِدَّةِ الْوَالِي لِإِصْلَاحِ حَالِ الرِّعْيَةِ، حَيْثُ قَالَ: «إِيَّايَ وَذَلَّجَ اللَّيْلَ، فَلَيْ لَا أُوْتِي تُمْدُجٌ إِلَّا سَفَكْتُ دَمَهُ، وَإِيَّايَ وَدَعَوَى الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَيْ لَا أَحَدٌ أَحَدًا دَعَا بِهَا إِلَّا قَطَعْتُ لِسَانَهُ. وَقَدْ أَحْدَثْتُمْ أَحْدَثًا، وَأَحْدَثْنَا لِكُلِّ ذَنْبٍ عَقُوبَةً؛ فَمَنْ غَرَّقَ قَوْمًا غَرَّقْتُهُ، وَمَنْ أَحْرَقَ قَوْمًا أَحْرَقْتُهُ، وَمَنْ نَقَبَ بَيْتًا نَقَبْتُ عَنْ قَلْبِهِ، وَمَنْ نَبَشَ قَبْرًا دَفَنْتُهُ فِيهِ حَيًّا؛ فَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَلَسْتُمْ أَكْفًا عَنْكُمْ. وَقَدْ كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَقْوَامٍ مِنْكُمْ أَشْيَاءُ قَدْ جَعَلْتُهَا ذُبُرًا أَذِي وَنَحْتٌ قَدَمِي، فَمَنْ كَانَ مُحْسِنًا فَلْيَزِدْ، وَمَنْ كَانَ مُسِيئًا فَلْيَتَرَعَّ. إِنِّي لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدَكُمْ قَدْ قَتَلَ السَّلَّ مِنْ بُغْضِي لَمْ أَكْشِفْ لَهُ قِنَاعًا وَلَمَّا أَهْتَكْ لَهُ سِتْرًا، حَتَّى يُيَدِيَ لِي صَفْحَتَهُ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ أَنَاظِرْهُ؛ فَأَعِينُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ»^(٣).

(١) أخرجه ابن شبة في أخبار المدينة (٥٦/٢) وابن عبد البر في الاستيعاب (١١١٩/٣)، (١١٢٠) من طريق الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: بينا أنا أمشي مع عمر فذكره. وسنده صحيح.

(٢) موسوعة البحوث والمقالات العلمية، ص (٤).

(٣) ينظر: تاريخ الأمم والملوك (١٩٧/٣)، أنساب الأشراف (١٥٠/٢، ١٥١)، نهاية الأرب في فنون الأدب (١٩٤/٢٠).

فهذه الخطبة بشدتها تُقوِّم سلوك المجتمع، وتصلح شأنه، وتقضي الشر عنه، وتشيع فيه الطمأنينة، طمأنينة العدل، بالأخذ على يد الظالم، وردع المعتدي.

ولا عجب إذا علمنا أن هذا النوع من العنف يعد أحد سبل الديمقراطية - في الفكر السياسي الحديث - أو على الأقل تربطه بها علاقات وروابط، وهو السبيل إلى التغيير الاجتماعي، كما يشير تيد هيندرش بقوله: «يمكن أن نلتزم بمجموعة من القضايا - وربما كانت حصيلة بحث تاريخي - حول احتمال ضمان العنف للتغيير الاجتماعي، أو لبعثه، وبشكل مختلف أيضاً أن نفترض أن لبعض العنف السياسي علاقات وروابط هامة مع ممارسة الديمقراطية»^(١).

وبناء على ما تقدم من بيان مفهوم العنف وأنواعه يمكن القول بأنه إذا كان العنف سلوكاً فإن هذا السلوك منه السلوك الشرعي وغير الشرعي، والشرعي ما يقصد به حق السلطة المشروعة أن تقوم به وتمارسه فتأخذ على أيدي الخارجين؛ لتستقيم حياة الأمم، وغير الشرعي هو سلوك الخارجين على تلك السلطة المشروعة، التي تحكم، وهذا ما ذهب إليه علماء النفس، إذ «يميز فرويد العنف الشرعي، بوصفه حقاً اجتماعياً للسلطة المقبولة كي تسيطر على العنف غير الشرعي وغير المصادق عليه اجتماعياً لدى الفرد، وبالتالي المهديد للمجتمع»^(٢).

وهذا الذي يقرره علماء النفس في العصر الحديث يؤكد عظمة هذه الشريعة وخلودها، ويؤكد أن الإسلام هو دين الفطرة السليمة؛ التي لا تقبل الشدة في موضع اللين، ولا تقبل اللين في موضع الشدة؛ بل تضع الشدة موضعها، واللين موضعه، وهو ما أرشد إليه الحق سبحانه وتعالى؛ حيث قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ

(١) ينظر: العنف السياسي، تيد هيندرش، مترجم، ص (٢٧).

(٢) ينظر: الأنماط الثقافية للعنف، باربارا ويتمر، ص (٧٥).

مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ»^(١).

وقال سبحانه: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ رَحِمُكُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ»^(٢).

فتلك صفات المؤمنين: الحب لله والتراحم بينهم، وإظهار العزة على الكافرين، ففي المجتمع تسود الرحمة والألفة، وفي المواجهة من أجل الجماعة تكون الشدة والغلظة؛ إذ يتنازل الفرد عن أهدافه وطموحاته الشخصية؛ لتحل محلها أهداف الجماعة والمجتمع، فيتسامى الفرد من أجل الجماعة، وهذا ما أشارت إليه الدراسات الغربية؛ اعترافاً بدور الأخلاق والضمير في انتزاع العدوان الفردي: «لقد اعتبرت غريزة العدوان بدائية تماماً ومستقلة عن الغرائز الأخرى، فالعدوان المحرض دفاعاً عن الترجسية يتحول فقط من خلال رد الفعل إلى حب ملتبس يميز المجتمع، لقد وجب على الحضارة كسي تصون نفسها من الدافع العدواني التدميري أن تشجع الحب وعمده بالبقاء بين أبناء البشر، فإذا ما ترك البشر يحققون أهدافهم فإنهم سيخلقون بيئة معادية جداً تعيق تقدم الحضارة إلى الأمام، إن الأخلاق والضمير هما الطريقتان اللذان يجردان نزعة العدوان لدى الفرد من سلاحها. من هنا تصبح العلاقات دفاعاً ثانوياً ضد فرد عدواني بالأساس»^(٣).

وهكذا نجد أن الإسلام قد كان سباقاً في الحرص على الجانب الحضاري، والدعوة إليه حين يشير إلى الحب والتراحم والتعاطف في الداخل، وتوجيه الشدة والغلظة لصالح المجتمع، وتحقيق أهدافه الكبرى ولردع المعتدين، وصيانة حرمانات الله تعالى أن تنتهك. وهذا هو النهج الذي رسمه الرسول ﷺ لأمته، والذي يدل عليه ما رواه البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «ما خير النبي ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما

(١) سورة الفتح الآية: ٢٩.

(٢) سورة المائدة الآية: ٥٤.

(٣) ينظر: الأنماط الثقافية للعنف، باربارا ويتمر، ص (١٢٦).

ما لم يأثم، فإذا كان الإثم كان أبعدهما عنه، والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط، حتى تنتهك حرمة الله، فينتقم الله^(١).

ولهذا كان الغضب لله ورسوله بعيداً عن الانتقام الشخصي، وشهوة التسلط على الناس، والاستشاعة الصادرة عن الفخر، والتكبر، والمباهاة، والمنافسة، والحسد، والحقد، وغير ذلك من الحظوظ الدنيوية دون الدينية - من أسمى مقامات الإيمان التي تعكس عمق تشرب القلب بحب الله ورسوله.

وفي هذا يقول القرافي بعد أن بين عدم مشروعية الغضب من أجل أسباب الدنيا:-
«وأما في القيام بالحق، فإنه يجب الغضب في الجهاد، وأهل العناد بالباطل وغيره، وقد يكون مندوباً؛ إذا علمت أنه يبعث على الخير، ويحث على ترك الشرور، ممن يعلم ذلك منك^(٢)».

إذن فالغضب لله تعالى محمود؛ سواء أطلق عليه: عنفاً، أو شدة، أو حزمًا، أو عزيمة... إلى غير ذلك من المصطلحات؛ إذ لا مشاحة في الاصطلاح، والأحكام إنما تبنى على المعاني والمقاصد لا على الأسماء.

وعلى هذا يكون ترك الغضب لله بحجة نبذ العنف ومقاومته والتصدي له - هو في واقع الأمر برود، وسلبية، ولا مبالاة؛ فمن يشاهد المنكرات والفواحش، ويظل بارداً فهو مريض القلب؛ يكاد مرضه يرديه، ويحل عليه بسببه عقاب ربه؛ كما قال تعالى:

(١) أخرجه مالك (٩٠٢/٢، ٩٠٣) في حسن الخلق، باب ما جاء في حسن الخلق، رقم (٢) عن الزهري عن عروة عن عائشة به.

ومن طريق مالك أخرجه البخاري (٦٥٤/٦) في المناقب، باب: صفة النبي ﷺ، رقم (٣٥٦)، (٥٤١/١٠) في الأدب، باب قول النبي ﷺ: «يسروا ولا تعسروا»، رقم (٦١٢٦)، ومسلم (١٨١٣/٤) في الفضائل: باب مبادئه ﷺ للأثم واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله عند انتهاك حرمة الله (٢٣٢٧/٧٧).

(٢) الذخيرة، للقرافي (٣٣٥/٣).

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾^(١).

وقد بين القرآن الكريم أن وجود نخبة تغار على الحرمات الشرعية هو من أهم وسائل سلامة المجتمع من كوارث الغضب الإلهي؛ فقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾^(٢).

وجملة القول: أنه لا ينبغي أن يتخذ رفض العنف وذمه ذريعة إلى السلبية واللامبالاة أمام العصاة والمعتدين ومن على شاكلتهم؛ ومن جعل الشدة والوقوف في وجه هؤلاء من العنف المذموم فهو المذموم؛ ومن نسب الشدة إلى الرسول ﷺ في مواجهة هؤلاء فقولُه حق؛ فإن أراد بهذا انتقاص الرسول ﷺ؛ فإنما هو المنتقص في عقله؛ لأن الشدة في وجه المفسدين هي عين الكمال.

أما من نسب العنف إلى الرسول ﷺ في غير ذلك فهو كاذب، ويؤكد كذبه ما سيعرضه البحث في المبحث الآتي بإذن الله تعالى.

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٧٨، ٧٩.

(٢) سورة هود آية: ١١٦.

المبحث الثاني

حلم الرسول ورفقه ولينه في مواجهة العنف

كان الرسول ﷺ أحلم الناس، وأرفقهم، وألينهم ما دام الحلم والرفق واللين لا يخل بأمن المجتمع وسلامته، ولا يؤدي إلى انتهاك حرمت الله تعالى، ولا إلى اجترأ الناس على المفساد والشرور وارتكاب المعاصي.

فالرسول ﷺ لم يغضب لنفسه قط، ولم ينتقم لنفسه قط، وكان يواجه العنف بالرفق، والشدّة باللين، والقسوة بالحلم، والأدلة الدالة على ذلك كثيرة جدًا.

فقد تفتنت قريش في استخدام العنف، ومقاومة الإسلام في مهده ما استطاعت، وموقفهم من النبي ﷺ واضح حين رأوا أن يقتلوه، واجترأوا على ذلك بعد موت أبي طالب؛ حيث اجتمعوا في دار الندوة؛ ليرأوا ما سيصنعونه بالهادي البشير فمن قائل: احبسوه، ومن قائل: أخرجوه، حتى ارتأى أبو جهل رأيته في القتل بأن تشارك في قتل النبي ﷺ كل القبائل فيتفرق دمه، فيرضى بنو هاشم بالدية، وهو ما حكاه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾^(١).

كما تروي كتب السيرة أن كفار قريش اجتمعوا يتشاورون في أمر النبي ﷺ فمن قائل: احبسوه في وثاق، ثم تربصوا به ريب المنون، حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء، ومن قائل: أخرجوه من بين أظهركم، تستريحوا منه، فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع؟ وأين وقع؟ إذا غاب عنكم أذاه واسترحتم، حتى قال أبو جهل: «والله! لأشيرن برأيي عليكم ما أراكم أبصرتموه بعد، قالوا: وما هو؟ قال: نأخذ من كل قبيلة غلامًا شابًا ثم نعطيه سيفًا صارمًا حتى يضربوه ضربة رجل واحد، فإذا تفرق

(١) سورة الأنفال آية: ٣٠.

دمه في القبائل، فلا أظن أن بني هاشم يقدرّون على حرب قريش كلها، فإذا أرادوا ذلك قبلوا العقل، واسترحنا منه، ثم أصلحتهم أمركم، فاجتمع ملككم على ما كنتم عليه من دين آبائكم»^(١).

وكان هذا الاتفاق الآثم من قريش - والذي أحبطه الله عز وجل - بمثابة النهاية لسلسلة طويلة من العنف الذي مارسه الكفار ضد النبي ﷺ؛ والذي تقص علينا كتب السيرة بعض مظاهره:

ومن ذلك ما يرويه البخاري في صحيحه بسنده من طريق عبد الله - رضي الله عنه - قال: «بينا رسول الله ﷺ ساجدًا وحوله ناسٌ من قريشٍ من المشركين إذ جاء عتبة بن أبي معيط يسلاً جزورٍ فقدّفه على ظهر النبي ﷺ فلم يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة عليها السلام فأخذت من ظهره ودعت على من صنع ذلك، فقال النبي ﷺ: اللهم عليك الملاء من قريش، اللهم عليك أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن أبي معيط وأمية بن خلف، أو أبي بن خلف، فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدرٍ فآلقوا في بئرٍ غير أمية - أو أبي - فإنه كان رجلاً ضخماً، فلما جرّوه تقطعت أوصاله قبل أن يلقى في البئر»^(٢).

وكان مما لاقاه النبي ﷺ من عقبة هذا: «ما روي عن عروة بن الزبير قال: سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ قال: رأيت عتبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقاً شديداً فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه فقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ

(١) ينظر: الثقات لابن حبان (١١٤/١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٩/١) كتاب الوضوء، باب: إذا ألقى على ظهر المصلي قدر أو حيفة لم تفسد عليه صلاته، الحديث (٢٤٠)، ومسلم (١٤١٨/٣) كتاب: الجهاد، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، الحديث (١٧٩٤/١٠٧) من حديث عبد الله بن مسعود.

جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ»^(١).

ومع هذه الممارسات العدوانية البشعة، والعنف المبالغ فيه مع النبي ﷺ، كان عليه السلام يقابل عنف هؤلاء الكفار بالحلم والرفق واللين، متمنياً لهم الخير، راجياً أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله تعالى، كما يدل لذلك ما رواه البخاري بسنده عن عروة: «أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُحُدٍ؟ قَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَأُتِلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَطْلَتْنِي، فَظَنَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ، فَتَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ؛ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَتَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ شِئْتَ أَنْ أُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(٢).

وقد كان هذا بعد أن تناولت الأيدي وألقيت الأحجار على النبي ﷺ حتى سال الدم من عقبه في الطائف، لا لشيء إلا لأنه كان يدعوهم إلى عبادة الله سبحانه؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ففي رواية موسى بن عقبة قال: «وقعد له أهل الطائف صفين على طريقه، فلما مر جعلوا لا يرفع رجله، ولا يضعهما إلا رضخوهما

(١) سورة غافر الآية: ٢٨.

(٢) أخرجه البخاري (٤١٦/٨) كتاب التفسير، باب: سورة المؤمن (٤٨١٥) من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٠/٦) كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة (٣٢٣١)، ومسلم (١٤٢٠/٣)، كتاب الجهاد، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين (١١١ - ١٧٩٥) من طريق الزهري عن عروة عن عائشة.

بالحجارة حتى أدموه فيخلص منهم وهما يسيلان الدماء»^(١).

وما كان من الرسول ﷺ عندئذ إلا أن لجأ إلى ربه يشكو إليه كربه وهمه في دعائه المشهور: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي اللهم إلى من تكلمي؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتي حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك»^(٢).

بهذه الكلمات الرقيقة واجه النبي ﷺ عنف المشركين وسفهاءهم ضده، دون أن

(١) ذكره عن موسى بن عقبة الحافظ ابن كثير في السيرة النبوية (١٥١/٢) وابن سيد الناس في عيون الأثر (١٧٥/١) وتاريخ الإسلام للذهبي (٢٨٣/١) والصالحي في سبل الهدى والرشاد (٤٣٨/٢).

(٢) أخرجه الطبراني في الدعاء (١٠٣٦) وفي الكبير (٧٣/١٣) حدثنا القاسم بن الليث أبو صالح الرسعني، حدثنا محمد بن عثمان أبي صفوان الثقفي، حدثنا وهب بن جرير بن حازم، حدثنا أبي عن محمد بن إسحاق، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال لما توفي أبو طالب خرج النبي ﷺ إلى الطائف ماشياً على قدميه فدعاهم إلى الإسلام فلم يجيبوه فانصرف فأتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال: فذكر الحديث.

وأخرجه الخطيب في الجامع (٢٧٥/٢) رقم (١٨٣٩)، وابن منده في جزء في ترجمة الحافظ الطبراني (١٠، ١١)، والضياء المقدسي في المختارة (١٨٠/٩، ١٨١) رقم (١٦١، ١٦٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٥٢/٤٩)، وجمال الدين المراكشي في مشيخة ابن المراكشي (٣٩٤، ٣٩٥) من طريق الطبراني به.

وأخرجه ابن عدي في الكامل (١١١/٦) ثنا القاسم بن الليث أبو صالح الراسي بتيس أنا سألته أملاه.

وقال ابن عدي: وهذا حديث أبي صالح الراسي لم نسمع أن أحدا حدث بهذا الحديث غيره ولم نكتبه إلا عنه.

قال الهيثمي (٣٥/٦): فيه ابن إسحاق، وهو مدلس ثقة، وبقيّة رجاله ثقات.

تحدثه نفسه بانتقام، أو أن يقابل عنفهم بعنف مثله حتى إذا بلغ قرن المنازل بعث الله تعالى إليه جبريل ومعه ملك الجبال يستأمره أن يطبق الأخشيين على أهل مكة الذين كانوا سبباً فيما لاقاه ويلاقيه من العنف المستمر؛ فرفض الرسول ﷺ معللاً رفضه بأنه يرجو أن يخرج من أصلاهم من يعبد الله وحده^(١) - كما جاء في الحديث السابق - فهل هناك أحلم، وأرأف، وأرفق، وألين، وأسمح، وأكثر بعداً عن العنف من هذا؟. وقد يكابر معاند؛ فيدعي أن حلم الرسول ﷺ ورفقه بالمشركون والكفار وعدم الرد على عنفهم بعنف مثله في مكة؛ إنما كان لأنه مستضعف بين ظهرائهم فلا يستطيع أن يجازيهم على العنف بعنف مثله.

وهذه المكابرة والمعاندة يمكن إبطاها من وجوه:

أحدها: أنه ﷺ كان يستطيع الدعاء عليهم، ويأذن لملك الجبال أن يطبق عليهم الأخشيين؛ كما جاء في الحديث السابق.

ثانيها: أن الانتقام ومقابلة العنف بالعنف لو كان من أخلاقه ﷺ، لاستطاع أن ينتقم من أهل مكة، ويكيل لهم الصاع صاعين جزاء عنفهم معه، وتغذيهم له ولأصحابه ﷺ وذلك حين نصره الله عليهم يوم فتح مكة، وكان يستطيع أن يفعل بهم الأفاعيل؛ لكنه عفا عنهم؛ ضارباً بذلك المثل للعفو عند المقدرة.

فقد روت كتب السيرة أنه ﷺ لما فتح مكة، قال: «يا معشر قريش، ما ترون أبي فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، اذهبوا

(١) ينظر: الدرر في اختصار المغازي والسير، ص (٦٤)، السيرة النبوية لابن كثير (٣٤٩/١)، الروض الأنف (٢٣١/٢)، السيرة الحلبية (٥٧/٢).

فأنتم الطلقاء»^(١).

ثالثاً: أن هناك العديد والعديد من الأخبار والروايات التي تؤكد حلم رسول الله ﷺ في مواجهة العنف، وأنه كان ألين الناس وأرفقهم، وهو في أوج قوته وقد نصر الله الإسلام وأقام دولته في المدينة؛ حيث كان ﷺ يستطيع أن يُعَفِّف من شاء بما شاء؛ لكنه ﷺ كان أبعد الناس عن العنف؛ فلم ينقل عنه إلا ما يدل على حلمه ورفقه ﷺ.

ومن ذلك رده على عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين كاد يبطش بالأعرابي الذي أتى يطلب ديناً، وذلك فيما روي أن زيد بن سعة جاء يختبر حلم رسول الله ﷺ قبل أن يسلم، فاحتال لأن يتعامل معه، ثم جاء قبل موعد القضاء بيومين يطلب حقه، فيقول فيما رواه ابن حبان: «فأخذت بمجامع قميصه ونظرت إليه بوجه غليظ ثم قلت: ألا تقضيني يا محمد حقي؟ فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب - بمطل، ولقد كان لي بمخالطكم علم.

قال: ونظرت إلى عمر بن الخطاب وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير ثم رماني ببصره.

وقال: أي عدو الله، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع وتفعل به ما أرى؟ فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوته، لضربت بسيفي هذا عنقك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر

(١) هذا الحديث على شهرته ليس له إسناد ثابت. أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٣١/٤، ٣٢)، وعنه الطبري في تاريخ الرسل والملوك (١٢٠/٣) قال: فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده وذكر الحديث بطوله. وسنده ضعيف مرسل. لأن شيخ ابن إسحاق فيه لم يسم، فهو مجهول. ثم هو ليس صحابياً، لأن ابن إسحاق لم يدرك أحداً من الصحابة، بل هو يروي عن التابعين. وأقرانه، فهو مرسل أو معضل.

في سكون وتؤدة.

ثم قال: «إنا كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر: أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التباعة، اذهب به يا عمر فاقضه حقه، وزده عشرين صاعاً مكان ما رعته»^(١). ونحو هذا مما يدل على حلمه ﷺ في مواجهة العنف والغلظة حلمه مع الأعراي الذي جاء يطلب الصدقة بغلظة قائلاً: إنه ليس مالك ولا مال أبيك، وذلك فيما روى عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْلِسُ مَعَنَا فِي الْمَجْلِسِ يُحَدِّثُنَا فِإِذَا قَامَ قُمْنَا قِيَامًا حَتَّى نَرَاهُ قَدْ دَخَلَ بَعْضُ يَبُوتِ أَرْوَاجِهِ، فَحَدَّثَنَا يَوْمًا فَقُمْنَا حِينَ قَامَ، فَظَنَرْنَا إِلَى أَعْرَابِي قَدْ أَذْرَكَهُ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ، فَحَمَرُ رَقَبَتِهِ - قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَكَانَ رِدَاءُ حَشِنًا - فَالْتَمَتَ فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ: احْمِلْ لِي عَلَى بَعِيرِي هَذَيْنِ، فَإِنَّكَ لَا تَحْمِلُ لِي مِنْ مَالِكَ، وَلَا مِنْ مَالِ أَبِيكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، لَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، لَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، لَا أَحْمِلُ لَكَ حَتَّى تُقِيدَنِي مِنْ جَبَدَتِكَ الَّتِي جَبَدْتَنِي، فَكُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ: وَاللَّهِ لَا أَقِيدُكُمَا: فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، قَالَ: ثُمَّ دَعَا رَجُلًا، فَقَالَ لَهُ:

(١) أخرجه الحاكم (٦٠٤/٣، ٦٠٥)، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ، ص (٨١)، وابن حبان في صحيحه (٥٢١/١-٥٢٤) رقم (٢٨٨)، الطبراني في الكبير (٥١٤٧)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢٧٨/٦-٢٨٠)، وفي السنن الكبرى (٥٢/٦) من طرق عن الوليد بن مسلم حدثني محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده قال: قال عبد الله بن سلام فذكره. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه وهو من غرر الحديث ومحمد بن أبي السري العسقلاني ثقة.

وتعقبه الذهبي فقال: ما أنكره وأركه! لا سيما قوله: مقبلاً غير مدبر، فإنه لم يكن في غزوة تبوك قتال.

قلت: وعلمته حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام وهو مقبول كما قال الحافظ ابن حجر في التقريب (١٥٣٩) يعني عند المتابعة وإلا فلين.

أما ابن حبان فقد ذكره ابن حبان في الثقات (١٧٠/٤).

ومع جهالة حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام إلا أن الحافظ المزني قال في تهذيب الكمال (٢٤٣/٧-٢٤٧): هذا حديث حسن مشهور في دلائل النبوة.

أَحْمِلْ لَهُ عَلَى بَعِيرَيْهِ هَذَيْنِ عَلَى بَعِيرٍ شَعِيرًا وَعَلَى الْآخِرِ ثَمَرًا، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: انْصَرِفُوا عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ تَعَالَى»^(١).

وهذا الذي فعله ﷺ مع ذاك الأعرابي دليل واضح على أن منهجه ﷺ في الدعوة أو في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو منهج الرأفة واللين، وهو ما بينه ﷺ حين أوضح لأمنه أن الله - تعالى - يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، حيث قال ﷺ: «يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه»^(٢).

وكما بين الرسول ﷺ في هذا الحديث قيمة الرفق ومكانته وأثره، فإنه في المقابل يذم العنف والغلظة، كما يدل لذلك ما رواه الترمذي من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ - أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ: عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيْنٍ لَيْنٍ سَهْلٍ»^(٣) فجعل الجنة جزاء لمن يؤثر طريق الرفق، وينأى عن الغلظة والعنف.

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٣/٤) كتاب الأدب، باب: في الحلم وأخلاق النبي ﷺ حديث (٤٧٧٧)، والنسائي (٣٣/٨) كتاب القسامة، باب: القود من الجبذة حديث (٤٧٧٦)، وأحمد (٢٨٨/٢) من طريق محمد بن هلال عن أبيه عن أبي هريرة به.

وسنده فيه ضعف هلال والد محمد مجهول لم يرو عنه غير ولده محمد. (٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد (٤١٥/١)، والترمذي (٢٦٦/٤) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (١١٠)، (٢٤٨٨)، وأبو يعلى (٥٠٥٣)، وهناد في الزهد (٥٩٦/٢)، رقم (١٢٦٣) والطبراني في الكبير (٢٣١/١٠) رقم (١٠٥٦٢)، وابن حبان (٤٦٩)، (٤٧٠) والخرائطي في مكارم الأخلاق (١١، ٢٣) من طرق عن هشام بن عروة عن موسى ابن عقبة عن عبد الله بن عمرو الأودي عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً.

وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

وقد صححه الألباني بشواهده في الصحيحة (٩٣٨).

ولهذا كان النبي ﷺ ينبذ العنف ويؤثر الرفق واللين في توجيه الناس، ودعوتهم بالحسنى، وتأليف القلوب، ومما يؤكد ذلك أنه أتاه فتى يسأله أن يرحص له في الزنا، فما كان منه ﷺ رغم بشاعة المطلب، إلا أنه ترفق به ووجهه، ونصحه كما في الحديث: الذي رواه الإمام أحمد في المسند من حديث أبي أمامة قال: إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، قالوا: مه، مه، فقال: (ادنه)، فدنا قريباً: قال فجلس قال: أتحبه لأملك؟، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟، قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحسن فرجه. فلم يكن ذلك الفتى يلتفت إلى شيء بعد ذلك^(١).

والأمثلة كثيرة في هذا الباب، منها رفقهُ بالأعرابي الذي بال في مسجد النبي ﷺ وكاد أن يفتك به الناس، فقد روى البخاري في صحيحه بسنده، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -: «أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَتَّارَ إِلَيْهِ النَّاسُ؛ لِيَقْعُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ

(١) أخرجه أحمد (٢٥٦/٥، ٢٥٧)، والطبراني في الكبير (١٦٢/٨) رقم (٧٦٧٩)، وفي مسند الشاميين (٣٧٣/٢) رقم (١٥٢٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٦٢/٤) رقم (٥٤١٥) من طريق سليم بن عامر عن أبي أمامة به.
قال الحافظ العراقي في تخریج أحاديث الإحياء (٢٥١/٢): رواه أحمد بإسناد جيد رجاله رجال الصحيح.

قال الهيثمي في المجمع (١٢٩/١): رجاله رجال الصحيح.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذُكُوبًا^(١) مِنْ مَاءٍ - أَوْ سَحْلًا^(٢) مِنْ مَاءٍ - فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيسَّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»^(٣).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُتَيْنِ أَثَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَسًا فِي الْقِسْمَةِ فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ وَأَعْطَى أَنَسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ فَأَثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ قَالَ رَجُلٌ وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَأُخِيرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»^(٤).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه «أَنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِشِئَاءٍ مَسْمُومَةٍ فَأَكَلَ مِنْهَا فَجِيءَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ أَرَدْتُ لَأَقْتُلَكَ قَالَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَسْلُطَكَ عَلَى ذَاكَ قَالَ أَوْ قَالَ عَلَيَّ قَالَ قَالُوا أَلَا نَقْتُلُهَا قَالَ لَا قَالَ فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ^(٥) رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(٦) يعني: أثر السم في فمه.

(١) الذنوب: الدلو المלאى ماء.

ينظر: الصحاح (١/١٢٩)، تاج العروس (٢/٤٣٨).

(٢) السجل مذكر، وهو الدلو إذا كان فيه ماء، قل أو كثر. ولا يقال لها وهي فارغة: سجل ولا ذنوب.

ينظر: الصحاح (٥/١٧٢)، تاج العروس (٢٩/١٧٦).

(٣) أخرجه البخاري (١/٣٢٣) كتاب الوضوء، باب: صب الماء على البول في المسجد، الحديث (٢٢٠) من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبي هريرة.

(٤) أخرجه البخاري (٦/٣٠٩) كتاب فرض الخمس، باب: ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفه قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه. حديث (٣١٥٠)، ومسلم (٢/٧٣٩) كتاب الزكاة، باب: إعطاء المؤلفه قلوبهم على الإسلام وتصر من قوى إيمانه (١٠٦٢/١٤٠) من طريق أبي وائل شقيق بن سلمة عن ابن مسعود به.

(٥) الهواة من كل ذي حلق: اللحمه المشرفة على الحلق، وقيل: هي ما بين منقطع أصل اللسان إلى منقطع القلب من أعلى الفم، والجمع لهوات، ولهيات.

ينظر: المحكم (٤/٤٢٤)، تاج العروس (٣٩/٤٩٩).

(٦) أخرجه أحمد (٣/٣٢١)، ومسلم (٤/١٧٢) كتاب السلام، باب: السم (٤٥/٢١٩) من طريق هشام بن زيد عن أنس به.

وعن أنس رضي الله عنه قال: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْحُدَيْيَةِ هَبَطَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ ثَمَانُونَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فِي السَّلَاحِ مِنْ قَبْلِ جَبَلِ التَّنْعِيمِ فَدَعَا عَلَيْهِمْ فَاخَذُوا وَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾»^(١) قال يعني: جَبَلِ التَّنْعِيمِ مِنْ مَكَّةَ.

وعن عبد الله بن مغفل - رضي الله عنه - مطولاً وفيه: فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا ثَلَاثُونَ شَابًا عَلَيْهِمُ السَّلَاحُ فَتَارُوا فِي وُجُوهِنَا فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَبْصَارِهِمْ فَقَدَمْنَا إِلَيْهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَلْ جِئْتُمْ فِي عَهْدٍ أَحَدٍ أَوْ هَلْ جَعَلْ لَكُمْ أَحَدٌ أَمَانًا فَقَالُوا لَا فَخَلَى سَبِيلَهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾»^(٢) الآية.

وفي رواية لأنس رضي الله عنه: هبط ثمانون رجلاً من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله ﷺ، فأخذوا، فأعقبتهم رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا

(١) أخرجه مسلم (١٤٤٢/٣) كتاب الجهاد والسير، باب: قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ الآية حديث (١٨٠٨/١٣٣) من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك به.

(٢) أخرجه أحمد (٨٦/٤)، والنسائي في السنن الكبرى (٤٦٤/٦) كتاب التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ حديث (١٥١١)، والحاكم في المستدرک (٥٠٠/٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣١٩/٦) من طريق حسين بن واقد قال حدثني ثابت البناني عن عبد الله بن مغفل المزني به.

قال الإمام أحمد: قال حماد بن سلمة في هذا الحديث عن ثابت عن أنس وقال حسين بن واقد عن عبد الله بن مغفل وهذا الصواب عندي ان شاء الله قال.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين إذ لا يبعد سماع ثابت من عبد الله بن مغفل وقد اتفقا على إخراج حديث معاوية بن قررة على حديث حميد بن هلال عنه وثابت أسن منهما جميعاً أ.هـ.

تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١﴾. وقال لأبي سفيان وقد سبق إليه بعد أن جلب إليه الأحزاب، وقتل عمه وأصحابه ومثل بهم، فعفا عنه، ولاطفه في القول: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟ فقال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأوصلك وأكرمك؟ وكان رسول الله ﷺ أبعد الناس غضبًا، وأسرعهم رضا^(١).

وعن أبي هريرة، قال: جَاءَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرِو الدَّوْسِيِّ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ دَوْسًا قَدْ عَصَتْ وَأَبَتْ، فَأَذَعُ اللَّهَ عَلَيْهَا، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ النَّاسُ: هَلَكْتَ دَوْسٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا، وَأْتِ بِهِمْ»^(٢).

وعن سعيد بن المسيب - رحمه الله -: قال: «بينما رسول الله ﷺ جالس، ومعه أصحابه، وقع رجلٌ بأبي بكرٍ فأذاه، فَصَمَتَ عنه أبو بكر، ثم آذاه الثانية، فَصَمَتَ عنه أبو بكر، ثم آذاه الثالثة، فانتصر أبو بكر، فقام رسول الله ﷺ فقال: أَوْجَدْتَ عَلِيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فقال رسول الله ﷺ: نَزَلَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُكَذِّبُهُ بِمَا قَالَ لَكَ، فَلَمَّا انْتَصَرْتَ ذَهَبَ الْمَلَكُ، وَقَعَدَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لِإِجْلَاسٍ إِذْ وَقَعَ الشَّيْطَانُ»^(٣).

(١) أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/٣١٩)، والحاكم (٣/٤٣، ٤٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣٢٢/٥-٣٤) من طريق محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن مسلم الزهري عن عبيد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود عن ابن عباس به.

وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

وقال الهيثمي في المجمع (٦/١٦٧): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

وابن اسحاق لم يرو له مسلم احتجاجاً وهو حسن الحديث إذا صرح بالتحديث.

(٢) أخرجه البخاري (٦/١٢٦)، كتاب الجهاد، باب: الدعاء للمشركين ليتألفهم (٢٩٣٧)، ومسلم (٤/١٩٥٧)، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل غفار وأسلم وجهية وأشجع ومزينة وتميم ودوس وطئ (١٩٧-٢٥٢٤) من طريق أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة به.

(٣) أخرجه أبو داود (٤/٤٢٥) كتاب الأدب باب في الانتصار رقم (٤٨٩٦) من طريق بشير بن الحر عن سعيد بن المسيب به.

وهذا على إرساله فإن فيه بشير بن الحر وهو مقبول يعني عند المتابعة وإلا فلين الحديث كما قال الحافظ ابن حجر في التقریب (٧١٩).

وقد خولف في هذا الحديث فقد خالفه ابن عجلان فقال: عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة: أن رجلاً كان يسب أبا بكر، وساق نحوه =

وهكذا تدل كل هذه الأخبار دلالة قاطعة على أن رسول الله ﷺ كان أبعد ما يكون عن العنف وأن «الحلم والاحتمال والعفو عند المقدرة، والصبر على المكاره، كانت من أهم الصفات التي أدبه الله بها، وكل حليم قد عرفت منه زلة، وحفظت عنه هفوة، ولكنه ﷺ لم يزد مع كثرة الأذى إلا صبراً، وعلى إسراف الجاهل إلا حِلماً»^(١).

* * *

=أخرجه أبو داود (٤/٤٢٥) كتاب الأدب، باب: في الانتصار رقم (٤٨٩٧).

وسنده حسن.

(١) الرحيق المختوم، ص(٤٤٤).

المبحث الثالث

شبهات حول موقف الرسول ﷺ من العنف

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الجهاد والعنف

مما قد يجد فيه أعداء الإسلام بغيتهم في إثارة الشبهات حول المصطفى ﷺ ونسبة العنف إليه دعوته ﷺ إلى الجهاد في سبيل الله؛ ولعل هذا ما دفع أحد المستشرقين إلى القول بأن «الإسلام يسفك الدماء، ويقتل الأبناء، ويهدم البنيان الإنساني»^(١).

ومن يصدر منه مثل هذا الزعم جاهل بالإسلام، وزعمه هذا يبطله أن رسول الله ﷺ نهي في غزواته عن «قتل النساء والصبيان والشيوخ»^(٢)؛ كما تبطله أيضا النصوص الكثيرة التي تنهى عن القتل ظلما وعدوانا وتوعده من يفعل ذلك بأشد أنواع العذاب، بحيث لا يتصور أبدا أن يقبل عاقل القول بأن الإسلام يسفك الدماء، ويقتل الأبناء، ويهدم البنيان الإنساني^(٣)؛ هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى فإن من يربط بين الجهاد والعنف فهو جاهل بطبيعة الجهاد في الإسلام؛ وذلك لأن الجهاد في الإسلام ما شرع إلا لهداية الناس، وحماية الدعوة الإسلامية من أعدائها، الذين يتربصون بها.

كما أن طبيعة الجهاد في الإسلام تُبين بوضوح أن طريق الجهاد لا يعرف العنف ولا البطش، لكنه جهاد له ضوابط وآداب حرص عليها الإسلام ووصى بها رسول الله ﷺ لتحقيق الأهداف السامية للرسالة المحمدية، بعيدا عن العنف أو المبالغة في القتل، أو

(١) الإسلام دين الإنسانية، الشيخ: موسى محمد علي، ص(١٢٦).

(٢) سيأتي تخريج هذه الأحاديث.

(٣) ينظر: الإسلام دين الإنسانية، ص(١٢٦).

سفك الدماء؛ فالجihad في الإسلام هو الفارس النبيل الأخلاقي المدرب على أخلاق الفروسية العالية الراقية؛ التي تجعله يمثل للأوامر والنواهي الربانية التي تأمره بضبط النفس قبل المعركة وأثناء المعركة وبعد المعركة، فقبل المعركة يجب أن يحرق نفسه من كل الأطماع، وألا يخرج مقاتلاً من أجل أي مصلحة شخصية، سواء كانت تلك المصلحة من أجل نفسه، أو من أجل الطائفة التي ينتمي إليها، أو من أجل أي عَرَض دنيوي آخر، وإنما هو يتغني بجهاده وجه الله وحده، ومن ثم فهو يتقيد بالشروط والضوابط التي أحل الله فيها الجهاد، ومعنى هذا أنه سوف يلتزم بأوامر الله ويستعد لإلغاء الحرب فوراً، إذا فقدت شرطاً من شروط حلها أو سبباً من أسباب استمرارها»^(١).

والجihad في الإسلام ليس بطشاً وتجيراً وإنما كان لأهداف مقصودة، ولم يكن جمعاً لمكاسب مادية، وانكباباً على الدنيا، بل هو أسمى صورة عرفت البشرية في استخدام القوة، حيث يأمر الإسلام بالتيين لا إلقاء الأحكام جزافاً على من يقاتل، كما يدل لذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَقِيُنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ لَسْتُ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنْ أَلْفَىٰ عَلَيْكُمْ فَتَقِيُنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(٢).

ومن آداب الجهاد في الإسلام الكف عن غير المقاتلين - وهو ما يطلق عليه في العصر الحديث، تجنب المدنيين في القتال - وهذا ما يؤكد ما ورد من النهي عن قتل النساء والأطفال والرهبان والزراع، في وصايا النبي ﷺ والخلفاء من بعده للقواد والجنود قبل سيرهم للمعركة.

(١) ينظر: حقيقة الإسلام، د. علي جمعة، ص (٦٩٥، ٦٩٦).

(٢) سورة النساء آية: ٩٤.

وهذا كله يؤكد أن الإسلام بريء من كل عنف حتى في المواطن التي يعد فيها العنف أمر طبيعيًا وهو القتال، وذلك لأن طبيعة الجهاد في الإسلام وهدفه تأييد القتل والعنف، ويدل لذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه، عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: «وُجِدَتْ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةٌ فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ»^(١).

وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اتَّطَلَّقُوا بِاسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا وَلَا طِفْلًا وَلَا صَغِيرًا وَلَا امْرَأَةً، وَلَا تَغْلُوا، وَضَمُّوا غَنَائِمَكُمْ، وَأَصْلَحُوا، وَأَحْسِنُوا ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾»^(٢).

كما أن من آداب الجهاد في الإسلام - أيضًا - الرفق الإنساني بالعدو: فلا يجوز للمسلمين تجويع عدوهم، ولا منع الماء عنه، ومما يدل لذلك قصة إسلام ثمامة بن أثال - رضي الله عنه - حيث جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن ثمامة بن أثال الحنفي، لما أسلم خرج معتمرًا فلما قدم مكة وسمعتة قريش يتكلم بأمر محمد من الإسلام، قالوا: صبا ثمامة، فأغضبوه، فقال: إني والله ما صبوت، ولكني أسلمت وصدقت بحمدا وآمنت به، وإيم الذي نفس ثمامة بيده، لا يأتيكم حبة من اليمامة - وكانت ريف مكة

(١) أخرجه مالك (٤٤٧/١) كتاب الجهاد، باب: النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو (٩)، والبخاري (١٤٨/٦) كتاب الجهاد، باب: قتل النساء والصبيان في الحرب، حديث (٣٠١٤)، (٣٠١٥)، ومسلم في صحيحه (١٣٦٤/٣) كتاب الجهاد والسير، باب: تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب، حديث (٢٤، ١٧٤٤/٢٥) من طريق نافع عن ابن عمر به.

(٢) أخرجه أبو داود (٨٦/٣) كتاب الجهاد، باب: في دعاء المشركين، حديث (٢٦١٤)، والبيهقي (٩٠/٩) كتاب السير، باب: ترك قتل من لا قتال فيه من الرهبان والكبير وغيرهم، من رواية خالد بن الفرز قال: حدثني أنس بن مالك فذكره.

وخالد بن الفرز روى له أبو داود، وقال الخافظ في التقریب (٢١٧/١): مقبول.

يعني عند المتابعة، وإلا فهو لين الحديث.

- ما بقيت حتى يأذن فيها محمد ﷺ، وانصرف إلى بلده، ومنع الحمل إلى مكة حتى جهدت قريش، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثمامة بخلي إليهم حمل الطعام، ففعل رسول الله ﷺ»^(١).

وهكذا رفض النبي ﷺ تجويع أعدائه، ولم يعامل قريشاً التي أتت اليوم تسأله بالرحم بمثل ما عاملوه وهم يقاطعونه في شعب أبي طالب، ويحاصرونه ومن آمن معه، حين تعاهد كفار قريش على بني هاشم ألا يناكحهم ولا يبايعهم ولا يكلمهم ولا يجالسهم، وكتبوا بذلك وثيقتهم الشهيرة وعلقوها على دار الندوة فكان الحصار ثلاث سنوات حتى أكل بنو هاشم ورق الشجر، وكان يسمع من بعيد بكاء أطفالهم وأنين شيوخهم، ومع ذلك فقد التزم النبي ﷺ الصبر والثبات ولما واته الفرصة للانتقام ولأن يجوع قريشاً كما جوعته وآله، لم يفعل، مؤكداً أنه نبي الرحمة، وأن للجهاد في الإسلام آدابه التي تنأى به عن العنف المنبوذ، وهي آداب كثيرة سطرها الفقهاء في المصنفات الفقهية والحديثية والتفسيرية، لا يتسع المقام لعرضها هنا؛ وأرى أن فيما ذكرته كفاية وهو يؤكد البون الشاسع بين العنف والجهاد، فالعنف قوة غاشمة لا تراعي إنسانية، ولا ذمة، ويبقى الجهاد بمفهومه في الإسلام غاية في النبل.

المطلب الثاني: انتشار الإسلام بالسيف

ردد أعداء الإسلام والمستشرقون المتعصبون ضد الإسلام ونبيه ﷺ كثيراً شبهة انتشار الإسلام بالسيف.

وقد نقل شوقي خليل في كتابه «الإسلام في قفص الاتهام» بعضاً من أقوال

(١) أخرجه البخاري (٦٦٢/٧) في كتاب المساجد، باب: الاغتسال إذا أسلم (٤٣٧٢)، ومسلم (١٣٨٦/٣)، في كتاب الجهاد والسير، باب: ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه (١٧٦٤/٥٩) من طريق سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة به.

المستشرقين في هذا الشأن، منها قولهم^(١):

«قد أمر محمد أتباعه أن يحملوا العالم كله على الإسلام بالسيف إذا اقتضت الضرورة».

«يتحتم على المسلم أن يعلن العداوة على غير المسلمين حيث وجدهم؛ لأن محاربة غير المسلمين واجب ديني».

«أخضع سيف الإسلام شعوب إفريقية وآسية شعباً بعد شعب»

«في القرن السابع للميلاد بزغ في الشرق عدو جديد، ذلك هو الإسلام، الذي أسس على القوة، وقام على أشد أنواع التعصب، لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه، وتساهل في أقدم قوانين الأخلاق، ثم سمح لأتباعه بالفجور، والسلب، ووعد الذين يهلكون في القتل بالاستمتاع الدائم بالملذات».

بهذه المقولات الكاذبة ونحوها يروج أعداء الإسلام لشبهة أن الإسلام ما انتشر إلا بحد السيف، وهي شبهة باطلة تماماً؛ لأن الإسلام إنما انتشر لأنه أسر النفوس بسماحة تعاليمه في العقيدة، والعبادات والأخلاق والمعاملات، وبنبيل آدابه وعظم قيمه في السلم والحرب، ناهيك عن رحمته الفائقة، وإنسانيته المهدبة في الغزوات والفتوح^(٢).

حيث كانت غزواته ﷺ تهدف إلى القضاء على الخطر قبل تفاقمه، فهو ﷺ ما حارب أهل مكة إلا بعد أن اشتد مشركو مكة في عداوتهم حيث ألحقوا به ﷺ وبصحبته - رضوان الله عليهم - ألوان الأذى، والعذاب، والطرد والتهجير بل إنهم طلبوا من الحبشة تسليم المهاجرين، كما يطلب اليوم تسليم المجرمين.

وما حارب الرسول ﷺ اليهود إلا بعد أن نقضوا عهودهم التي أمضوها مع رسول

(١) ينظر: الإسلام في قصص الاتهام، شوقي خليل، ص(٧٥، ٧٦).

(٢) ينظر: رسالة إلى العالم الغربي (وما محمد إلا رسول)، أنور فتحي عجيز، ص(١٩١).

الله ﷺ وكان أسرعهم لذلك يهود بني قينقاع وقد ساءهم انتصار المسلمين بيدر، بل إنهم أعانوا المشركين في المعركة وكشفوا عن عورة امرأة من الأنصار، وقتلوا مسلماً دافع عنها بل الأسوأ من ذلك أنهم خاطبوا الرسول ﷺ بلهجة تنبئ عن مدى حقدهم، وإضمارهم السوء له، حيث قالوا له: «لا يغرنك ما لقيت من قومك، فإنهم قوم لا علم لهم بالحرب، ولئن لقيتنا لتعلمن أنا نحن الناس»^(١).

وأما بنو النضير: فقد هموا باغتيال الرسول ﷺ وهو بين أظهرهم، حينما ذهب إليهم يستعينهم في بعض الديات، فنجاه الله منهم بوحى السماء^(٢).

وأما بنو قريظة: فقد مالتوا المشركين يوم الأحزاب، وأعانوهم بالسلاح على المسلمين يوم بدر^(٣)، وقد نقضوا العهد مرتين حتى نزل فيهم قوله تعالى: ﴿إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مِرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿فَإِذَا تَثَقَّفْتُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾^(٤).

وأما يهود خيبر: فقد حارهم رسول الله ﷺ؛ لأنهم كانوا سبب غزوة الخندق الشديدة الوطأة على المسلمين، فخرج إليهم الرسول ﷺ بعد الحديبية سنة سبع للهجرة، وفتح حصونهم، ثم صالحهم على شطر ما تنتجه الأرض من ثمر وزرع، وعلى

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٥٣)، وأبو داود (١١٥/٣) كتاب الجهاد، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة حديث (٣٠٠١)، والطبري في التفسير (٢٤٠/٥) رقم (٦٧٠٩)، والبيهقي في الدلائل (١٧٤/٣) من طريق محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير وعكرمة، عن ابن عباس، فذكره، ومحمد بن أبي محمد: مجهول.

(٢) تاريخ الأمم والملوك (٢٢٣/٢)، والكامل في التاريخ (١١٩/٢)، زاد المعاد (٢٢١/٣).

(٣) تاريخ الأمم والملوك (٢٤٥/٢)، وأيام العرب في الإسلام، محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البحاري، ص (٦٣، ٦٤)، وزاد المعاد (٣٨٨/٢).

(٤) سورة الأنفال الآيات: ٥٥ - ٥٧، وانظر تفسيرها في القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن (٣٠/٨)، وتفسير المنار، محمد رشيد رضا (٥٠/١٠).

إخراجهم متى شاء المسلمون^(١).

أما قتاله ﷺ لفارس والروم: فقد لخص الشيخ أبو زهرة الأسباب الداعية لذلك بقوله: «ما اتجه النبي ﷺ على قتال الفرس والروم إلا بعد أن ثبتت حقيقتان:

إحدهما: أن الروم قد ابتدعوا فاعتدوا على المؤمنين الذين دخلوا في الإسلام من أهل الشام، فكان ذلك فتنة في الدين وإكراهاً عليه، وما كان محمد رسول الله ﷺ ليسكت على ذلك، وقد جاء لدعوة دينية وإن كان لا يحمل الناس على اعتناق الإسلام كرهاً، فلا يمكن أن يسكت عمن يحاولون أن يخرجوا أتباعه من دينهم كرهاً، إنه لا يريد أن يعتدي، ولا أن يُعتدى عليه؛ ولذلك اعتبر هذا العمل من جانب الرومان اعتداء على دينه وعليه، ولأنه صاحب الدعوة فلا بد أن يزيل هذه الفتنة.

ثانيهما: أن كسرى عندما بلغه كتاب رسول الله ﷺ هم بقتل من حملوه، وأخذ الأهبة لقتل النبي، واختار من قومه من يأتيه برأسه، فكان لا بد أن يصصره، وجيشه قبل أن يصصره هو... لهاتين الحقيقتين اتجه النبي لقتال الفرس والروم^(٢).

وهذا كله يؤكد أن غزوات الرسول ﷺ وفتوحات المسلمين إنما كانت تهدف إلى حماية دعوة الإسلام وتأمينها؛ ولم يكن الهدف منها ألبتة حمل الناس على الدخول في الإسلام.

وأما انتشار الإسلام فهو يرجع إلى نقاء عقيدته وسماحة شريعته، فهو دين الفطرة السليمة التي غزت عقول الناس وقلوبهم طواعية واختياراً؛ وهذا ما اهتدى إليه بعض المستشرقين المنصفين؛ ومنهم:

مراد هوفمان الذي يقول: «فضل كثير من المسيحيين في الشرق والغرب الإسلام

(١) ينظر: الدرر في اختصار المغازي والسير (١/١٩٦)، الروض الأنف (٤/٦٤)، زاد المعاد (٣/٢٨١)، السيرة الحلبية (٢/٧٢٦).

(٢) ينظر: زاد المعاد (٣/٦٠٠).

على عقيدة التثليث، أو الطبيعة الإلهية لعيسى، وقد امتد الإسلام بعد ذلك، وما زال يمتد في إفريقيا بدون السيف».

ويقول روجيه جارودي: «إن انتشار الإسلام لم يتخذ شكل الغزو، ولا حتى شكل الاستعمار، فتأثير التجار العرب، وتأثير فكر الإسلام وإرسال القادة العرب، وأخيراً سياسة الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل الذي هرب من بغداد، ووصل إلى أسبانيا في عام ٧٥٦م؛ لنشر الإسلام - كل ذلك كان ذا أثر حاسم»^(١).

وهذه الأقوال ونحوها تؤكد أن الإسلام ما انتشر بحد السيف كما يدعي إلى قدون، وإنما انتشر بسبب سماحة المسلمين وما تحمله عقيدة الإسلام من مبادئ يسهل على الناس فهمها والإيمان بها، بعيداً عن الأسرار الغامضة المعقدة في العقائد الأخرى.

المطلب الثالث: إكراه غير المسلمين على الدخول في الإسلام

يدعي أعداء الإسلام ومثيرو الشبهات حول رسول الإنسانية محمد ﷺ أنه كان يكره الناس على الدخول في الإسلام؛ ومن هذا قول بعضهم: «إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة، وقالوا للناس: أسلموا، أو موتوا»^(٢).

وهذه شبهة لا يثيرها إلا حاقد أو جاهل تماماً بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة؛ وذلك لأن القرآن الكريم قد بين في وضوح لا يقبل الشك أن طريق الهداية لا يكون بالإكراه، ولا يعرف العنف، ولا يسلكه، وما كان لعقيدة مكانها القلب، وقوامها الإخلاص، وأساس عبادتها النية أن تنتشر بالقوة، أو تتكئ على العنف، أو تعرف سبيل الغلظة، وقد نصت الآية صراحة أنه ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ

(١) الإسلام دين المستقبل، روجيه جارودي، ص (٤٤).

(٢) الإسلام في قفص الاتهام، ص (٧٦).

الْوُفْقَى لَا أَنْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾.

وخاطب الله - عز وجل - نبيه ﷺ حين وجد حرصه على هداية من حوله بقوله تعالى:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ ^(١)
وقوله سبحانه: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ أَثَرِهِمْ ﴾ ^(٢).

وقد بين الله تعالى لنبيه ﷺ فضله عليه ورحمته به وأثر طباعه السمحة ﷺ في استحابة القوم لدعوته، ونصرهم لدين الله، والتفافهم حول الدعوة، حيث نص القرآن الكريم على أن رحمة الله برسوله أن يكون لين الجانب، ليس بغليظ القلب؛ لأن هذا هو طريق الإسلام ووسيلته إلى تأليف القلوب، فقال تعالى: ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِظَ الْقَلْبُ لَا نَفُضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ ^(٣).

كما بين الحق تعالى منهج النبوة في الدعوة إلى الله فقال سبحانه: ﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِلَاغِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ^(٤).

ويحمل القرآن على العنف ويذم القسوة، ويدين الغلظة والخشونة، فيذم الحق تعالى بني إسرائيل لخروجهم على العهد ونقضهم الميثاق، وذلك لقسوة القلب، بقوله سبحانه:

﴿ فِيمَا نَقُضُوا مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَافِيَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(٥).

(١) سورة البقرة آية: ٢٥٦.

(٢) سورة القصص آية: ٥٦.

(٣) سورة الكهف آية: ٦.

(٤) سورة آل عمران آية: ١٥٩.

(٥) سورة النحل آية: ١٢٥.

(٦) سورة المائدة آية: ١٣.

وسلوك القسوة هو غلظة تأبى الإيمان وترفض الإذعان للحق: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ أَلْتَهَرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ أَلْمَاءٌ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(١).

ويغلظ القرآن الكريم العقوبة لأصحاب القلوب القاسية فيقول سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِمَّنْ ذَكَرَ اللَّهُ﴾^(٢).

وهكذا كان القرآن الكريم دائم الذم للنف والقسوة داعياً إلى نشر الدعوة بالرفق واللين والموعظة الحسنة، وقد كان النبي ﷺ خير من يطبق التزليل، فقد «كان خلقه القرآن»^(٣)؛ ولهذا كان ﷺ يؤثر طريق الرفق واليسر؛ كما يدل لذلك حديث عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: مَا خَيْرَ رَسُولٍ لِلَّهِ ﷺ فِي أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أُيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا، كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ بِهَا^(٤).

وفي رواية لعبد الرزاق في المصنف عن عائشة قالت ما رأيت رسول الله ﷺ ضرب خادماً له ولا امرأة قط ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً فإذا كان إثماً كان أبعد الناس منه ولا انتقم من أحد قط لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فإذا انتهك حرمة الله انتقم منه^(٥).

ومن هنا كان الإسلام دين الرحمة والعدل، والمساواة بين الناس جميعاً كأصل عام،

(١) سورة البقرة آية: ٧٤.

(٢) سورة الزمر آية: ٢٢.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٤٤٢/٩) رقم (١٧٩٤٢) عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة به.

وسنده صحيح وتقدم تخريج أصل الحديث.

ومن هنا أيضاً قرر الإسلام أن اختلاف الناس إلى شعوب وقبائل لا ينبغي أن يكون سبباً للتناحر، والصراع، وإنما هو مدعاة للتواصل والتعاون لصالح البشرية، فقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝﴾^(١).

ولا ينكر منصف سماحة الإسلام في تعامله مع غير المسلمين. بما كفله لهم من حقوق كثيرة، لم تصل إليها بعد أحدث التشريعات الحديثة، والتي على الرغم مما وصلت إليه من مدنية، فإنها لم تصل إلى المستوى التطبيقي الذي وصلت إليه الشريعة الإسلامية، في خصوص معاملتها مع الآخر المخالف في العقيدة والشريعة.

ولو تتبع الباحث كل زعم يشكك في سماحة الإسلام والمسلمين تجاه غير المسلمين لوجده ضعيفاً لا يقوم على أصل وإنما يأتي بهدف هدم الإسلام، وينم عن حقد دفين من كل أعداء الإسلام والمسلمين، الذين يريدون أن يطفئوا نور الله، والله متم نوره مهما حقد الحاقدون أو كره الكارهون.

ومن أسمى الصور المتضمنة لاحترام الإسلام لحرية الاعتقاد ما تعامل به من سماحة وسلام مع أصحاب العقائد الأخرى؛ كما يظهر من قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝﴾^(٢).

فكيف يقبل بعد ذلك القول بأن الرسول ﷺ كان يكره الناس على الدخول في الإسلام؛ وأنه أمر المسلمين بأن يفرضوا دينهم بالقوة، ويقولوا للناس: أسلموا أو موتوا!!

(١) سورة الحجرات آية: ١٣.

(٢) سورة المتحنة آية: ٨.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة مع رسول الله ﷺ وموقفه من العنف، وما أثير حول ذلك من شبهات، يمكن القول بأنه:

أولاً: قد اتضح تماماً من خلال البحث أن النبي ﷺ كان أبعد ما يكون عن العنف؛ وأن الحلم، والصبر على الأذى، وكظم الغيظ، والعفو عند المقدرة، وغير ذلك من الصفات والشمائل المنافية للعنف - كانت من أهم أخلاقه ﷺ مصداقاً لقول ربه - جل وعلا-: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١).

ثانياً: أن الدعوة إلى الرفق والحلم ونبد العنف لا تعني التساهل مع المفسدين والمخربين والمتهكين لحرمت الله تعالى؛ بل لا بد من الوقوف بكل حزم وشدة في وجه هؤلاء المخربين المفسدين؛ ولا تعد الشدة حينئذ عنفاً؛ ومن عدها عنفاً مذموماً؛ فإنه يدخل بذلك في باب السلية واللامبالاة، والشر في هذا الباب لا يقل خطراً عن الشر في باب العنف.

ثالثاً: أنه لا أساس من الصحة لما يدعيه بعض الحاقدين والجاهلين والمتعصبين على الإسلام من أن الإسلام قد انتشر بحمد السيف، أو أنه أكره غير المسلمين على الدخول فيه... إلى غير ذلك من الشبهات الباطلة التي روج لها المستشرقون الذين كانوا موزعين بين يهودي حاقد على الإسلام، ومسيحي راهب مبشر بدينه، وشيوعي ملحد لا دين له، فكان من الطبيعي أن يكون طبعهم هو الحقد والتعصب على الإسلام وأهله ومن ثم لا يكاد يخلو كتاب استشراقي يتصل بالإسلام ونبيه إلا وهو يقطر سما على الإسلام والمسلمين^(٢).

ولا ينكر منكر أن الاستشراق بشططه ومحافاته نور الحقيقة الساطعة قد انغمس في

(١) سورة القلم آية: ٤.

(٢) ينظر: الإسلام والغرب، للشيخ أبي بكر بن أحمد، ص (١٣٥).

بث الحقد والتعصب، والعنف ضد الإسلام والمسلمين، وقد كان ذلك الشطط دافعاً لموجات من الاحتلال والغزو للشرق، وهو ما يشير إليه أحد الباحثين بقوله: «يعتبر الاستشراق من أهم الوسائل التي مهدت للاستعمار العسكري وغزو الشرق ثقافياً وعسكرياً، والاستعمار الحديث يعتمد على المستشرقين بصورة فعالة في دراسة نفسية الشعوب، وعاداتها وتقاليدها، وأفضل الوسائل للسيطرة عليها بأقل قدر ممكن من التكاليف، والذي يتابع أحداث القرن التاسع عشر والقرن العشرين - وهما أكثر القرون في النشاط الاستعماري - يعلم مدى الصلة القوية بين الاستعمار والاستشراق»^(١).

وللأسف كان بعض المثقفين العرب ممن خدعوا باسم الصداقة أو الشراكة، أو تواصل الثقافة - كانوا أشبه بمطفيّ انتقل على ظهورها فكر المستشرقين إلى العالم العربي والإسلامي،، وبلغ الأمر مبلغه، «حتى أن كثيراً من المشتغلين بالثقافة جعلوا أنفسهم بمثابة وكلاء عن المستشرقين في توزيع أفكارهم، والدعوة إلى تبني آرائهم في الفكر الإسلامي وقضاياه، فهذا مندوب عن ماركس والشيوعية، وذلك مندوب عن الوضعية والوضعيين، وثالثهم مندوب عن الوجودية والوجوديين، وآخر يدعو إلى القول بتأنيس الإله، أو تأليه الإنسان.... إلخ، وامتألت المؤسسات الثقافية في مصر والشام وشمال إفريقيا بوكلاء معتمدين لتوزيع الفكر الاستشراقي على المؤسسات العربية، وشحذ الوجدان العربي بمفاهيم تحت مقولات مضللة كالتنوير والتقدمية والنهضوية.. إلخ»^(٢).

والبحث هنا يوصي بعدم الانخداع بآراء هؤلاء المفتونين بالمستشرقين وبالخصارة الغربية؛ كما يوصي بالتصدي لآراء وشبهات المستشرقين وغيرهم من أعداء الإسلام، لا سيما فيما يتعلق بالنبي ﷺ؛ لأن الذب عنه ﷺ ووجوب تعظيمه وإجلاله فريضة

(١) ينظر: الإسلام والغرب، المؤتمر التاسع للمجلس الأعلى، للشيخ أبي بكر بن أحمد، ص (١٤٥).

(٢) ينظر: السابق، ص (١٤٦).

على كل مسلم ومسلمة؛ وذلك لعلو مقام النبوة والرسالة، الذي هو أعلى مقام يمكن أن يبلغه بشر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿١﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ﴿٢﴾، قال القرطبي: «تعزروه، أي: تعظموه وتفخموه، والتعزير: التفخيم والتوقير، وقيل: تعزروه: تنصروه وتمنعوا منه. ثم قال: ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾: أي تسودوه. والهاء فيهما للنبي ﷺ» (٢).

وقال ابن تيمية: التعزير: اسم جامع لنصره وتأيدته ومنعه من كل ما يؤذيه، والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه طمأنينة وسكينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم بما يصونه عن كل ما يخرججه عن حد الوقار (٣).

وقد أمر القرآن الكريم الصحابة - رضوان الله عليهم - بتوقير النبي ﷺ حال ندائهم له فقال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا...﴾ ﴿٤﴾ أي: لا تقولوا: يا محمد، كما يدعو بعضهم بعضًا باسمه، ولكن قولوا: يا نبي الله، يا رسول الله (٥). قال ابن تيمية: «هاهم الله أن يقولوا: يا محمد، أو يا أحمد، أو يا أبا القاسم، ولكن يقولوا: يا نبي الله، يا رسول الله. قال: وكيف لا يخاطبونه بذلك؟! والله تعالى قد أكرمه في مخاطبته إياه بما لم يكرم به أحدًا من الأنبياء، فلم يدعه باسمه في القرآن قط (٦)، بل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ﴾ (٧)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ (٨)،

(١) سورة الفتح الآيتان: ٨، ٩.

(٢) تفسير القرطبي (٢٦٦/١٦).

(٣) الصارم المسلول، ص (٤٢٧).

(٤) سورة النور آية: ٦٣.

(٥) النبوات لابن تيمية، ص (٢٧٠)، وتفسير القرطبي (٢٦٧/١٦، ٣٠٦، ٣٢٢/١٢)، والشفا للقاضي عياض (٦١٦/٣).

(٦) الصارم المسلول، ص (٤٢٧، ٤٢٨).

(٧) سورة الأحزاب آية: ٢٨.

(٨) سورة الأحزاب آية: ١.

﴿يَأْتِيَا الرَّسُولَ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾^(١) مع أنه سبحانه قال: ﴿يَتَقَادَمُ أَنْبَتْهُم بِأَسْمَائِيَوْمَ﴾^(٢)، ﴿يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾^(٣) ﴿يَتَابَرَهُمُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا﴾^(٤)، ﴿يَمُوسَى إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾^(٥)، ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكَرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾^(٦).

وتوقيره ﷺ مشروع في حقنا عند ذكره ﷺ، فلا ينبغي ذكره باسمه مجردا، بل لا بد من قرنه بالصلاة والتسليم عليه.

وفي ذلك يقول القاضي عياض: «توقيره ﷺ وتعظيمه لازم بعد موته كما كان في حياته، وذلك عند ذكره ﷺ وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته، ومعاملة آله وعترته، وتعظيم أهل بيته وصحابته رضي الله عنهم. قال: وينبغي مراعاة ذلك بعد وفاته عليه الصلاة والسلام عند قبره»^(٧).

وإذا ثبت ذلك، ثبت أنه يجب على كل من يسمع شبهة يدعيها أعداء الإسلام على رسول الله ﷺ أن يسرع للرد عليها وتفنيدها؛ وهذا ما أطمح أن أكون قد وفقت إليه في هذا البحث فيما يتعلق بتفنيد شبهة العنف المنسوب للنبي ﷺ. والحمد لله أولاً وأخيراً.

(١) سورة المائدة آية: ٦٧.

(٢) سورة البقرة آية: ٣٣.

(٣) سورة هود آية: ٤٦.

(٤) سورة هود آية: ٧٦.

(٥) سورة الأعراف آية: ١٤٤.

(٦) سورة المائدة آية: ١١٠.

(٧) تفسير القرطبي (٣٠٧/١٦)، والشافا للقاضي عياض (٣/٦٤٣، ٦٤٤، ٦٦٠)، أحكام القرآن، لابن العربي (٤/١٤٦).

الفهارس الضمنية

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث النبوية.

فهرس الأعلام.

المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات

سورة البقرة

الآية	الصفحة
لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ	٤٠
ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً	٤١
يَتَذَكَّرُ أُنْثَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ	٤٦

سورة آل عمران

الآية	الصفحة
وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ	٢
وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِرِينَ	٨
فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ	٤١

سورة النساء

الآية	الصفحة
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَقِيُنُوا	٣٣

سورة المائدة

الآية	الصفحة
أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ	١
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ	١٥
لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ	١٧
فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً	٤١
يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ	٤٦

٤٧	يٰٓعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ
----	--------------------------------------------------------------------------

سورة الأعراف

الآية	الصفحة
قُلْ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اِنِّى رَسُوْلُ اللّٰهِ اِلَيْكُمْ جَمِيعًا	١
يٰٓمُوسَى اِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ	٤٧

سورة الأنفال

الآية	الصفحة
وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ	١٩
إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	٣٨

سورة التوبة

الآية	الصفحة
لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ	١
هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ	١

سورة هود

الآية	الصفحة
فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ	١٧
يَتَّبِعُونَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَّا أَهْلًا	٤٧
يَتَّبِعُوا هِيْمُ أَعْرَضَ عَنْ هَٰذَا	٤٧

سورة يوسف

الآية	الصفحة
لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ	٢٣

سورة الحجر

الآية	الصفحة
إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ	٢

سورة النحل

الآية	الصفحة
ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ	٤١، ٩

سورة الإسراء

الآية	الصفحة
وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ	١٠

سورة الكهف

الآية	الصفحة
فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ	٤٠

سورة الأنبياء

الآية	الصفحة
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ	١

سورة النور

الآية	الصفحة
لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا	٤٦

سورة القصص

الآية	الصفحة
إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ	٤٠

سورة الأحزاب

الآية	الصفحة
لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ	3
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ	٤٦
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ	٤٦

سورة الزمر

الآية	الصفحة
فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ	٤١

سورة غافر

الآية	الصفحة
أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ	٢٠

سورة فصلت

الآية	الصفحة
وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعُ بِالْأَيْ هِيَ أَحْسَنُ	10

سورة الشورى

الآية	الصفحة
وَجَزَّوْا سَیِّئَةً سَیِّئَةً مِّثْلُهَا	٨

سورة الفتح

الآية	الصفحة
مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ	١٥
وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ	٢٩، ٢٨

٤٤٥	إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا
-----	-------------------------------------------------------

سورة الحجرات

الآية	الصفحة
يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا	٤٢

سورة الممتحنة

الآية	الصفحة
لَا يَنْهَنُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ	٤٣

سورة القلم

الآية	الصفحة
وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ	٤٤

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث
١٢	إذا التقى المسلمان بسيفيهما
٢٦	ألا أخبركم بمن يحرم على النار
٦	إن الله تعالى يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف
٢٢	أن يخرج من أصلاهم من يعبد الله وحده
٢٤	إنا كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر
٣٤	انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله
٢٧	دعوه، وأهريقوا على بوله ذنوبا
٢٧	فمن يعدل إذا لم يعدل
٤٢، ١٠	كان خلقه القرآن
٢٥	لا وأستغفر الله، لا وأستغفر الله
١٣	لا يصلح هذا الأمر إلا شدة في غير عنف
٢١	لقد لقيت من قومك ما لقيت
٢٢	اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي
٢٩	اللهم اهد دوسا، وأت بهم
٢٠	اللهم عليك الملأ من قریش
٤٢، ١٦	ما خير النبي ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما
٤٢	ما رأيت رسول الله ﷺ ضرب خادما له ولا امرأة قط
٢٧	ما كان الله لیسلطک علی ذاک
٣٣	فی رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان

٢٨	هبط على رسول الله ﷺ وأصحابه ثمانون رجلا
٢٨	هل جئتم في عهد أحد أو هل جعل لكم أحد أمانا
١١	والذي نفس محمد بيده، ما يسرني أن أحدا
٢٥، ١٠	يا عائشة؛ إن الله يحب الرفق في الأمر كله
٢٣	يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل بكم؟

فهرس الأعلام

العلم	الصفحة
ابن حبان	٢٤
ابن عباس	١١
ابن عبد ياليل بن عبد كلال	٢١
أبو بكر	٢٩، ٢٠
أبو بكرة	١٢
أبو جهل بن هشام	٢٠، ١٩
أبو سفيان	٢٩
أبو أمامة	٢٦
أبو طالب	١٩
أبو هريرة	٣٤، ٢٩، ٢٧، ٢٥
أحمد	٢٦
الأحنف بن قيس	١٢
الأقرع بن حابس	٢٧
أمية بن خلف	٢٠
أنس بن مالك	٣٤، ٢٨، ٢٧
البخاري	٣٣، ٢٧، ٢١، ٢٠، ١٦، ١٢، ١٠
بربارا ويتمر	٧
الترمذي	٢٥

١٤، ١٢	تيدهندريش
٣٤	ثمالة بن أثال
٦	الرازي
٣٩	روجيه جارودي
١٣	زياد بن أبيه
٢٤	زيد بن سعة
٢٩	سعيد بن المسيب
٢٠	شبية بن ربيعة
٢٩	الطفيل بن عمرو الدوسي
٤٢، ٢٥، ٢١، ١٦، ١١، ١٠	عائشة
٤٢	عبد الرزاق الصنعاني
٣٣	عبد الله ابن عمر
٢٠	عبد الله بن عمرو
٢٧، ٢٥، ٢٠	عبد الله بن مسعود
٢٨	عبد الله بن مغفل
٢٠	عتبة بن ربيعة
٢٠	عروة بن الزبير
٢٠	عقبة بن أبي معيط
٢٤، ١٣	عمر بن الخطاب
٢٠	فاطمة بنت محمد
١٧	القراقي

٣٩	مراد هوفمان
٧	المنأوي
٢١	موسى بن عقبة

* * *

المصادر والمراجع

- الأحاديث المختارة، لضيء الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي، تحقيق د/ عبد الملك بن عبد الله بن دهبش، ط (١)، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.
- أحكام القرآن، للإمام أبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المالكي، ط دار الفكر، بيروت.
- أخلاق النبي ﷺ، لأبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، تحقق: صالح بن محمد الونيان، دار المسلم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- الإرهاب والعنف والتطرف في الكتاب والسنة، د. رقية بنت محمد المحارب، بيروت، لبنان.
- الاستيعاب، لابن عبد البر، تحقيق: علي محمد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- الإسلام دين الإنسانية، لموسى محمد علي، مطبعة الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية.
- الإسلام دين المستقبل، روجيه جارودي، ترجمة: عبد المجيد بارودي، دار الإيمان.
- الإسلام في قفص الاتهام، شوقي خليل، دار الفكر، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- الإسلام والغرب، للشيخ أبي بكر بن أحمد، وزارة الأوقاف المصرية، المؤتمر التاسع للمجلس الأعلى.
- أنساب الأشراف، لأحمد بن يحيى المعروف بالبلاذري، تحقيق: محمد حميد الله وآخرون، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٩م.

- الأنماط الثقافية للعنف، باربارا ويتمر، ت: د. ممدوح يوسف عمران، عالم المعرفة، الكويت.
- أيام العرب في الإسلام، لمحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاري، ط (٤)، طبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- تاج العروس من جواهر القاموس «شرح القاموس»، للإمام اللغوي محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، حكومة الكويت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- تاريخ آداب اللغة العربية، حرجي زيدان، مصر، ١٩١٤م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط(١)، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- تاريخ الأمم والملوك للطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت.
- تاريخ دمشق، لابن عساكر، المكتبة الظاهرية، دمشق.
- تفسير القرآن الحكيم المسمى «تفسير المنار»، لمحمد رشيد رضا، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
- تقريب التهذيب، لابن حجر، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار المعرفة، بيروت ط(٢)، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- الثقات، لمحمد بن حبان التميمي البستي، مجلس دائرة المعارف العثمانية بميدان آباد، الهند، ط(١)، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- الجامع الصحيح «سنن الترمذي»، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٨.

- الجامع لأحكام القرآن، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- حقيقة الإسلام، د. علي جمعة، دار السلام، القاهرة.
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي، طبع بمصر، ١٢٨٤هـ.
- الدرر في اختصار المغازي والسير، للحافظ يوسف بن عبد البر النمري، دار المعارف، القاهرة.
- دلائل النبوة، للبيهقي، أحمد بن حسين البيهقي، تحقيق: د. عبد المعطي قلعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- الذخيرة، للقراقي، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب، بيروت، ١٩٩٤م.
- الرحيق المختوم، للشيخ صفى الرحمن المباركفوري، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- رسالة إلى العالم الغربي (وما محمد إلا رسول)، أنور فتحي عجيز، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- الروض الأنف، للسهيلى، شقرون، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
- زاد المعاد في هدى خير العباد محمد، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، المكتبة المصرية القاهرة.
- الزهد، لهناد بن السري، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ط (١)، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
- سبل الهدى والرشاد، للصالحى، تحقيق: مجموعة من الباحثين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ط(٢)، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- سنن ابن ماجه، للحافظ أبي عبد الله محمد بن زيد القزويني، تحقيق: بشار

- عواد، دار الجليل، بيروت، ط(١)، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، ويوجد له طبعة أخرى بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بدار إحياء الكتب العربية، ط(٢)، ١٩٩٠ م.
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، دار الجنان، بيروت، ط(١)، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.
 - السنن الكبرى، للنسائي، تحقيق: د/ عبد الغفار سليمان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
 - السيرة الحلبية، المسمى: إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، لعلي بن برهان الدين الحلبي، طبع بمصر، ١٢٩٢ هـ.
 - السيرة النبوية، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.
 - شرح معاني الآثار، للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الطحاوي، ط: مطبعة الأنوار المحمدية، القاهرة.
 - شعب الإيمان للبيهقي، ط (١)، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، دار الكتب العلمية، بيروت.
 - الشفاء، للقاضي عياض، تحقيق: علي البحايوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
 - الصارم المسلول، لابن تيمية، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني، محمد كبير أحمد شودري، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
 - الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: إميل بديع يعقوب، ط(١) ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
 - صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وحسين أسد، مؤسسة الرسالة،

- بيروت، لبنان، ط(١)، ١٤٠٤هـ.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري، طبعة رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- العنف السياسي، تيدهندريش، ت: عبد الكريم محفوظ، عيسى طنوس.
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، لابن سيد الناس، اليعمري، طبع بمصر، ١٣٥٦هـ.
- الكامل في التاريخ، لابن الأثير، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- الكامل في ضعفاء الرجال، عبد الله بن عدي الجرجاني، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- لسان العرب، للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج وآخرين، مصطفى البابي الحلبي، مصر، وطبعة أخرى، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، ٢٠٠٠م.
- مختار الصحاح، للعلامة محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، المطبعة الأميرية ببولاق، ط(٤)، ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.
- المستدرك على الصحيحين، للحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم، وبذيله التلخيص للحافظ الذهب، دار الكتاب العربي، بيروت.

- مسند أبي يعلى، أحمد بن المثنى التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط(١)، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، وبهامشه منتخب كثر العمال في سنن الأقوال، المكتب الإسلامي، بيروت، ط(٥)، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- مسند الشاميين، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، أحمد بن أبي بكر البوصيري، تحقيق: موسى محمد علي، عزت على عطية، دار الكتب الإسلامية.
- المصنف، للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط(١).
- المعجم الكبير، للطبراني: سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- مكارم الأخلاق، الخرائطي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الموطأ للإمام مالك بن أنس، ومعه كتاب إسعاف المبطأ برجال الموطأ للإمام جلال الدين السيوطي، ط٣، ط: دار الآفاق الجديدة، بيروت. دار الرشد الحديثة، الدار البيضاء.
- النبوات، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٦هـ.
- نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، ١٩٢٢م، دار الكتب المصرية.

* * *